طبيب ألماني يصف مجتمع الأحساء في أوائل الخمسينات

(٢ - ٢)

د. عبدالله بن محمد المطوع (*)

يهدف هذا البحث إلى دراسة الملحوظات الاجتماعية والأمنية لطبيب ألماني عاش وعمل في الأحساء زهاء ثلاث سنوات في أوائل خمسينيات القرن العشرين، ودوّن كثيراً من الملحوظات عن كثير من المواقف التي مر بها أو شارك فيها خلال مدة بقائه في تلك المنطقة. وقد تميزت تلك الحقبة من تاريخ الأحساء بأهمية كبيرة، لا لأنها توافقت مع السنوات الأخيرة من حكم الملك عبدالعزيز فحسب، بل لأنها كانت تمثل حياة مجتمع لم تتغير منذ زمن بعيد، ويمر بمرحلة انتقالية، مع بداية ظهور آثار اكتشاف النفط.

(*) أكاديمي من السعودية. دكتوراه في التاريخ الحديث من جامعة كاليفورنيا (لوس أنجلس، الولايات المتحدة الأمريكية، عام ١٤٠٩هـ)، يعمل الآن أستاذاً مشاركاً بقسم التاريخ بجامعة الملك سعود.

ثانياً: الملحوظات الأمنية

اتسمت إدارة الأمير سعود بن عبدالله بن جلوي بالحزم وعدم التساهل مع قطاع الطرق والمجرمين على اختلاف فئاتهم، ولذا عم الأحساء أمن غير مسبوق. مر هذا الطبيب في أثناء إقامته في الأحساء التي استمرت زهاء ثلاث سنوات ببعض المواقف الأمنية، منها ما كان بصفته الشخصية، ومنها ما كان بصفته الرسمية. كان أول هذه المواقف ما أشرنا إليه سابقاً عندما كان عائداً متأخراً في الليل من زيارة للأمير تعرض لهجوم قطيع من الكلاب لم ينقذه منه سوى رجل العسة الذي رافقه إلى منزله ونصحه بشراء كشاف، ليستعمله في تنقلاته الليلية.

وأشار الطبيب إلى أن منزله كان مسوراً مثل كل المنازل والمزارع في الهفوف؛ كما كانت الهفوف أيضاً مسورة، ولها أربع بوابات،[1] وعلى كل بوابة عدد من الأبراج لأغراض الدفاع.[2] أما الكوت، أو ما أسميناه بالمدينة الداخلية، فهو كذلك محاط بسور[3] ويضم بداخله المنشآت التالية:

١. قصر الأمير، حيث يسكن مع عائلته.

٢. المسجد الكبير.

٣. معسكر الحامية التي يبلغ عددها حوالي (٤٠٠) رجل.

٤. مبان إدارية أخرى.

---

(١) ذكر فيدال أنه توجد ست بوابات على سور الهفوف وهي: بوابة الخميس، وبوابة البدع، وبوابة القرن، وبوابة الصالحية، وبوابة الخباز، وهي بوابتان إحداهما للسيارات الخارجة والأخرى للداخلة. أما الكوت فله بوابتان وهما: بوابة الكوت، وبوابة الفتح، وتسمى أحياناً بوابة الخيل أو البراحة. راجع: واحة الأحساء؛ ص١٠٣، ١١١.

(٢) يبلغ عرض سور الهفوف (٣-٥ أقدام). راجع: واحة الأحساء؛ ص١٠٤.

(٣) يعد سور الكوت الأعلى والأقوى في الأحساء، ويبلغ عرضه في بعض الأجزاء أكثر من ٢٠ قدماً. راجع: واحة الأحساء؛ ص١٠٤.

وقد لاحظ الطبيب أن بوابات الكوت تغلق عند الساعة التاسعة من كل مساء، ولا تفتح إلا بإذن خاص من الأمير. ومن الغريب أن فيدال الذي درس الأحساء ومجتمعها بشكل أكثر دقة وتفصيلاً لم يذكر شيئاً حول إغلاق البوابات عند حديثه عن الكوت.[1]

وفي إحدى جلسات الطبيب مع الأمير، جرى الحديث حول النظام القضائي في ألمانيا، فأوضح له وجود أطباء خاصين بالسجون كما يوجد خبراء طبيون (شرعيون) مهمتهم التحقق من سبب الوفاة في جرائم القتل. أعجب الأمير بهذه الفكرة، ولذا قبل أن يخرج الطبيب من القصر بعد تلك المحادثة، وجد نفسه وقد عُيِّن طبيباً لدى المحكمة الشرعية بالهفوف.[2] ويستدرك على نفسه أنه لو علم مسبقاً بمسؤوليات هذا العمل، لبلع لسانه قبل أن يتحدث عن العلاقة بين الطب والقانون في ألمانيا.

تنفذ في كل يوم خميس الأحكام الشرعية للأسبوع المنصرم، إذ ترسل مفرزة من الشرطة لتفرغ مساحة من السوق ويشكل أفرادها مربعاً يقاد إليه الأشخاص المحكومون. يكون الحكم بالنسبة للجرائم البسيطة الجلد في المرة الأولى،[3] ويلزم فريق من ستة أشخاص لتنفيذ الحكم، إذ يقوم أربعة من مماليك الأمير بطرح المحكوم عليه أرضاً ويمسكون به، أما العضو الخامس فهو كذلك مملوك قوي تتلخص مهمته في جلد المحكوم عليه بجريدة نخل على مؤخرته حسب العدد المحدد من الجلدات الواردة في الحكم. ويقوم كاتب المحكمة، وهو الشخص السادس في هذا الفريق، بمراقبة تنفيذ الحكم، فيعدّ الجلدات، ويمسك بيده سوطاً لا يتردد في استعماله ضد الجلاد إذا رأى أنه لم ينفذ الجلدات بالقوة الكافية.

---

(١) للمزيد حول محتويات الكوت، راجع: واحة الأحساء؛ ص١١٢-١١٥.

(٢) أستبعد أن يكون المقصود هو التعيين الوظيفي، ولكن ربما كان ذلك يتم عن طريق الاستعانة به في بعض القضايا الجنائية.

(٣) تختلف الحدود حسب نوع الجريمة، وهو ماتقرره المحكمة الشرعية قبل تنفيذ الحكم.

من ينزع للعودة إلى الإجرام، ويصدر عليه حكم ثانٍ بالسرقة، تقطع يده اليمنى؛[1] وتبدأ هذه العملية بربط الذراع بأشرطة جلدية، وضاغط لوقف جريان الدم، وذلك من أجل تخفيف الألم. ثم يمسك مساعد السياف بذراع المحكوم بشكل أفقي ويشدها جيداً في حين يقوم السياف بقطع بسيط في الرسغ يحدد به مكان الضربة. بعد ذلك يتراجع السياف إلى الوراء خطوة، ثم يهوي بسيفه الأحدب مسدداً ضربة قوية ودقيقة فاصلاً بذلك اليد لتسقط على الأرض بين قدمي الضحية. في هذه الأثناء تكون النار قد أوقدت تحت تنكة مليئة بالسمن حتى أصبح يغلي، وذلك من أجل أن تغمس به الذراع بعد فصلها عن اليد بهدف إيقاف نزف الدم. أخيراً تفك الأشرطة، والضاغط، وتربط يد الضحية في عنقه، ويطلب منه مغادرة البلد حالاً.

يعلم المؤلف أن كتابه هذا موجه للقارئ الغربي بشكل خاص، لذا فهو يعقب على كلامه حول تنفيذ القصاص وما ينظر إليه على أنه قسوة، ويوضح أن فائدة هذا الكلام لصالح المجتمع، إذ بإمكان المرء أن يترك باب منزله ليلاً من دون أن يغلقه. إن الخوف من الظهور بمظهر من يشتبه في أنه يخطط لسرقة، تجعل المرضى الذين يطرقون باب عيادته المنزلية ينسحبون بسرعة من عند الباب إذ لم يجبهم من بالداخل.

كما تحدث عن سجن الشرطة الذي يودع فيه مرتكبو الجنح، وقال إنه كان يتردد عليه بصفته مسؤولاً عن علاج المرضى السجناء. أما سجن العبيد (يسمى غالباً القلعة) فإنه مخصص لمرتكبي الجرائم الخطيرة ضد الدولة. يقع هذا السجن في طرف الهفوف، ويرى هذا الطبيب، حسب ما سمع من الناس، أنه قد اكتسب اسمه لأنه كان يودع به العبيد الهاربون، إذ يمرون هناك بإجراءات من التهدئة، حتى يأتي أسيادهم لاستلامهم. وصمم هذا المبنى بأسوار عالية وأبراج في أركانه الأربعة، وقد

(١) الأحكام الشرعية تنفذ بعد أن تستوفي مسوغات الحكم سواء كان ذلك في المرة الأولى أو مابعدها.

كان جزءاً من تحصينات الدفاع في العهد العثماني. وفي هذا السياق يصف فيدال سجن العبيد بأنه مبنى كبير محصن ومربع الشكل بارز باتجاه الشمال من سور الكوت. أما سبب تسميته فقد أورد سبباً آخر يختلف قليلاً عن تعليل المؤلف، إذ يرى أن سبب ذلك هو استخدامه في ما مضى سكناً لعبيد الأمير وخدمه الآخرين، وعندما كان فيدال في الأحساء (سنة ١٩٥٢م) كان هذا المبنى يستخدم بشكل رئيس بوصفه سجناً، وخاصةً للمحكوم عليهم بمدة طويلة.[1]

كان الطبيب يلح، من دون جدوى، على الأمير للسماح له بمعالجة المرضى في سجن العبيد، وبينما كان نائماً في إحدى الليالي، جاء كاتب المحكمة ليخبره أن الأمير يطلب منه الذهاب معه إلى سجن العبيد لمعالجة أحد السجناء. ذهب بصحبة الكاتب إلى ذلك السجن فوجدا نفسيهما أمام باب حديدي قصير جداً، ولذا اضطر إلى الانحناء ليمرا من خلاله. طرق الكاتب الباب بعقب مسدسه، وبعد برهة من الزمن فتحت فتحة بحجم اليد. عرّف الرجل نفسه مسلطاً ضوء كشافه على وجهه قائلاً: «**أنا حسن، الكاتب، وقد أحضرت الطبيب**». فتح الباب ودخلا ليقابلا المسؤول عن السجن الذي كان يعرج ويمشي على عكاز تحت ذراعه الأيسر، وفي يده اليمنى بندقية. عبرا بصحبته ساحة تؤدي إلى ممر مقوس عليه باب. قام المسؤول عن السجن بسحب ثلاثة قضبان حديدية، ثم أدخل مفتاحاً، يبلغ طوله قدماً، في قفل تقليدي، فانفتح الباب ورأى حارسين من المماليك الأقوياء (شبّههما بالدببة) كانا جالسين في الداخل، وقد أغلق عليهما الباب مع السجناء.

أخيراً اقتادهما المسؤول عن السجن من خلال درج حجري إلى الحجر السفلية؛ قدّر المؤلف أن الأعلى من القبو يقع على بعد خمسة عشر قدماً من سطح الأرض، ومن الباب الوحيد الذي يمكنه أن ينفذ منه الهواء. عبر درج آخر نزلا إلى المناطق السفلى من السجن حتى وصلا إلى غرفة على شكل متعامد، وعليها باب

(١) راجع: واحة الأحساء؛ ص١١٤.

مغلق ذو قضبان متقاطعة. مرة أخرى كان على دليلهم أن يسحب قضباً ويفتح أقفالاً، وأخيراً وجدا نفسيهما في سرداب على شكل صليب. يوجد في هذا السرداب ما يشبه الفانوس في كوة بالجدار يضيء المكان على ثمانية رجال ممددين في صفين، وأرجلهم متقابلة، وموثقة عند كواحلهم بعمود خشبي.

أشار كاتب المحكمة إلى رجل يرتدي ثوباً أزرق،[1] وقد تلطخ كتفه الدماء. فتح المملوك قفل الخشبة وأخرج المريض قدميه، في حين تأكد السجان الأعرج ألا أحد يستغل هذه الفرصة ليهرب إذ أغلق الخشبة مباشرة. أما السجين المريض فقد صُفِّدت يداه، وربط في رجله كرة حديدية أمر السجان بحملها، ولكنه لم يتمكن من حملها، لأنه لا يستطيع أن يستخدم كلتا يديه، ولذلك كان على أحد الزنوج المماليك حملها معه إلى ساحة السجن في الأعلى. أجرى الطبيب الكشف على هذا المريض، وتوصل إلى أنه قد أصيب برصاصة في العضلة وسيشفى سريعاً، ثم ضمد كتفه المجروح وصرف له بعض الأدوية. بعد ذلك جاء دور كاتب المحكمة، إذ جلس إلى جانب السجين ليحقق معه بصوت هامس، وعليه لم يستطع الطبيب سماع شيء يفيده حول القضية أو شخصية هذا الرجل. بعد ما يقارب العشرين دقيقة نهض الكاتب، وأعيد السجين إلى السراديب السفلية. خرج الطبيب مع الكاتب من السجن وقرر ألا يطلب من الأمير بعد ذلك اليوم زيارة هذا المكان.

ومن القضايا الأمنية التي أشار إليها في أثناء إقامته في الأحساء جريمة قتل عند مورد ماء. فذات صباح، أرسل إليه القائد: الرائد عبدالله، أو كما قال: «The commandant major Abdallah»،[2] يخبره بصفته طبيباً للمحكمة، أن دورية

(١) ذكر المؤلف أن هذا الرجل كان يرتدي ثوباً حريرياً أزرق، وهو أمر مستبعد لسببين، الأول: أن لبس الحرير محرم شرعاً، أما الثاني: فهو غلاء الحرير الذي يجعل شراءه صعباً بالنسبة لكثير من الناس. من ناحية أخرى فإن اللون الأزرق قد يوحي بأنه من رجال الأمير (الخوية) ولكن المؤلف لم يتمكن من معرفة هوية هذا الرجل.

(٢) مما يؤسف له أن المؤلف لم يذكر الاسم الأخير لهذا الرجل الذي ذكر بأنه يبلغ من العمر ٦٥ عاماً، وهو رجل ثقة ومطيع للأنظمة وصاحب خبرة كبيرة، وكان يعمل في الشرطة منذ

شـــرطة وجدت جثة رجل غير معروف عند مورد ماء على بعد أكثر من ثلاثين ميلاً من الأحساء، وأن الأمير يأمره بالذهاب مع الشرطة لإجراء التحقيق في الموقع.

حـــاول الطبيب التذرع بانشـــغاله، ولكن من دون جـــدوى، فركب بصحبة أربعة أشـــخاص، لم يذكر منهم ســـوى الرقيب محمود، قائد الدوريـــة، وعمر المناصير، قصاص الأثر،[1] وهو مثل الرائد عبدالله كان مخضرماً، إذ عمل في هذه المهنة منذ صغره في العهد العثماني ثم في العهد السعودي. امتدح الطبيب قدرات عمر، الرجل الذي لا يحمل من الســـلاح سوى السيف، وبالرغم من كبر سنه إلا أنه رجل ذو بنية قويـــة. عندما وصلوا إلى الموقع وجدوا الجثة مخبأة بين شـــجرتين كثيفتين وملقاة على الظهر والرأس واليدان في الماء. لاحظ أن ملابس القتيل كانت ملطخة بالدماء وممزقة، ولكن من الواضح أن هذه الجروح كانت بفعل النسور التي مازال اثنان منها يحومان في السماء.

ســـحبت الجثة من الماء، وعلى الفور لاحظ أحدهم مباشـــرة أن حزام الرجل المقتول مفقود مما يدل على أن ســـبب القتل هو النقود. بشد أوصال الجثة، لاحظ الطبيب أن التخشب الموتي ما زال في مراحله الأولى، كما لاحظ أن الجسم لم يكن بارداً جداً، مما يدل على أن الوفاة كانت في ساعات الصباح الأولى. فحص الطبيب الجثـــة التي كان معظم لحمهـــا قد أكلته الطيور، ولم يجد علـــى الصدر أو الرأس أو البطن أي جرح قد تســـببه الطيـــور، وكاد أن يقفل التحقيق ولكنه لاحظ فتحتين ضيقتيـــن عميقتين، وحول حافة أحدهما دائـــرة أرجوانية. هذا الأمر جعل الطبيب يســـتنتج أن الضحية قد طعن بخنجر أو ســـكين غارت في الجسم لدرجة أن نصلها ترك أثراً عند مدخل الجرح.

العهد العثماني.

(١) اشتهر رجال قبيلة آل مرة باقتفاء الأثر، ولكن المؤلف لم يذكر قبيلة هذا الرجل.

نهـــض الطبيب بعد فحصه الجثة قائلاً: «**لقد طعن الرجل**»، فإذا بصوت يهتف: «**نعم أنا أعرف ذلك**»، إنه صوت عمر، قصاص الأثر، الذي كان قد استكشف المنطقة. وبينمـــا كان جنديان يدفنـــان الجثة، اصطحب عمر الطبيـــب والرقيب عبر منحدر صخـــري حتى وصلوا إلى منطقة رملية، وهناك توقف وأشـــار إلى آثار أقدام ثلاثة رجال يمشـــون، اثنان منهم توجها صوب الماء، وواحـــد ذهب في الاتجاه المعاكس. أخذ عمر مقياس طول وعرض الأثر، بواسطة مقياس خشبي رفيع أخرجه من جيبه. كما لاحظ عمر أن الرجل الذي عاد ذو قدمين صغيرتين، وبه علامة مميزة وهو أن في نعله الأيمن رقعة. تتبعوا الآثار حتى وصلوا إلى مكان إناخة الجملين في الرمال، وتبين من الأثر أن الجملين جاءا من الشرق، ولكنهما انطلقا باتجاه الجنوب. استنتج عمر من كل هذا أن الرجلين جاءا إلى هذا المكان في ساعات الصباح الأولى، وأنهما إمـــا يعرف أحدهما الآخر، أو أنهما تعارفا فـــي الطريق، إذ إن آثارهما في الأرض متوازية ولم تتقاطع قطّ، وبعد أن أناخا جمليهما ســـارا سوياً إلى الماء، وهناك قتل أحدهما الآخر، وعاد القاتل عاد لوحده هارباً بالجملين.

دار نقاش بين كل من الرقيب محمود وعمر المناصير حول أفضل السبل لإلقاء القبض على القاتل. كان عمر يرى أن ينتظروا حتى يخبر عنه أحد عمد القرى؛ أما الرقيـــب محمود، فيرى اللحاق بالقاتل وإلقاء القبض عليه بدلاً من العودة مرة أخرى للمهمة نفســـها. كان كل من عمر والرقيب محمود على ثقة بأن القاتل ســـيظهر في إحدى القرى، ومن ثم يرسل العمدة خبراً بذلك.

قرر الرقيب محمود الملاحقة بالســـيارة، ونـــزل عمر لفحص الأثر، ولاحظ أن الجملين كبيران في السن ومتعبان بسبب ركوبهما طوال الليل، واستنتج أنهم سيلحقون به خلال ثلاث ســـاعات. جلس عمر بجانب الســـائق مقتفياً الأثر باهتمام، وكان من الســـهل تتبعهما لمســـافة لابأس بها، لكن بعد ذلك وصلوا إلى أرض صلبة تكسوها أجمات من عشـــب الصحراء، وأخيراً وجدوا أنفســـهم وسط من قطيع الإبل ترعى

فـــي الصحراء. ظن الطبيب أن عليهم أن يوقفوا المطاردة، لأنهم حتى لو تمكنوا من العثور على الأثر مرة أخرى فإنهم لم يتعرفوا عليه، لأن حتماً أن المجرم سيســـتبدل إبله المتعبة بأخرى جديدة ومرتاحة وســـريعة. أجابه الرقيب بأنه لن يفعل ذلك أبداً مع هذه الإبل، لأنها إبل الأمير ســـعود بن جلوي وتحمل وسمه،[1] ولو فعل ذلك فمن المؤكد أن أحد العمد سيلقي القبض عليه.

وبينما هم منهكون في تفادي قطيع الإبل، وتتبع أثر المجرم أثناء قيادة السيارة، نظر عمر إلى الشـــمس، ثم قال: «**الصلاة يا مسلمين، قف يا حسن**». لم يفهم الطبيب ذلك، بل اســـتغرب كثيراً كيف يتوقف هؤلاء الناس للصلاة أثناء مطاردة قاتل هارب فقدوا أثره للتو، وقد تمر ســـاعات قبل أن يعثروا عليه، فقال الطبيب متسائلاً: «**ألا يمكنكم تأجيل صلاتكم؟**» كان الجواب أبلغ إذ نزل الرجال الأربعة وفرشـــوا سجادة على الأرض، ثم قال عمر: «**إن هذا شيء لا تفهمه، إن شاء الله سنقبض على القاتل حتى لو ركب جملاً يطير**»، ثم خلع نعليه وأخذ يصلي مع رفاقه.

استأنفوا نشاطهم بعد الصلاة ووصلوا إلى أرض ذات عشب قليل، قبل أن يصلوا إلى أرض رملية، فنزل عمر من الســـيارة للبحث عن الأثر. وبينما كان الســـائق يقود الســـيارة ببطء خلف عمر، كان البقية يتحدثون، فســـأل الطبيب لماذا عمر كان يرى الانتظـــار حتى يأتي خبر من أحد العمد؟[2] وأضاف لو أنه تمكن القاتل من الوصول إلـــى منطقة صخرية لن يتمكن أحد مـــن العثور عليه، حتى لو كان رجلاً خبيراً مثل عمـــر. رد الرقيب قائلاً: «**لا أحد يستطيع أن يختبئ في المملكة العربية السعودية**»، فقال الطبيب: «**لم لا؟**»، فالصحراء واســـعة ولا حدود لها، فرد عليه الرقيب موضحاً

(١) الوسم: علامة أو رمز يوضع على الحيوان عن طريق الكي أو القطع لتحديد ملكيته، ولكل قبيلة، أو حتى أفخاذ القبائل، وسم خاص بها.

(٢) أشار فيدال إلى أن عمد القرى يجتمعون بشكل يومي تقريباً في مبنى البلدية في الهفوف لتقديم التقارير واستلام التعليمات ولتبادل وجهات النظر حول مهامهم، للمزيد حول هذا الموضوع، راجع: واحة الأحساء؛ ص٥٥-٥٨، ١٢٤.

أنه يجب أن يعلم أن الإنسان يحتاج إلى الماء والغذاء، ومعظم الموارد المائية واحات مسكونة، بالإضافة إلى ذلك فإن موارد الماء الصغيرة، وحتى السرية منها التي لا بد من حفرها، معروفة للشرطة، والمجرم لا بد له من أن يذهب إلى الماء.

استمر الرقيب في محادثته مع الطبيب موضحاً له أن الناس في الصحراء لا ينتقلون كثيراً، وأفراد القبائل يعرف بعضهم بعضاً، لذا يتعرفون على الغريب مباشرة، ويستضاف طبقاً للأعراف، فلا أحد في الصحراء يحرم من الطعام والشراب والمأوى، ولكن مهمة العمدة أن يسأل كل غريب من أين يأتي، وإلى أين ذاهب، وإلى أي قبيلة ينتمي، وقد شبه المؤلف هذا النظام بنظام الهوية في ألمانيا. يحاول الأشخاص الهاربون من وجه العدالة خداع العمدة، ولكن العمدة الخبير يمكن أن يكشف هذا التلاعب، ليس فقط من خلال لهجة الرجل وملابسه، ولكن من خلال فصيلة جمله ولون شعره، إذ لكل منطقة أنواع معينة من الجمال. استفسر الطبيب عما إذا فشل العمدة في القبض على المجرم، فتبسم الرقيب محمود موضحاً أنه باستثناء حالات قليلة يمكن الاعتماد على العمد. وأضاف أنه حصل قبل عدة أسابيع قصة شبيهة بذلك إذ ألقت الشرطة القبض على بدوي اختبأ في واحة الهاني[1] لعدة أيام، ولم يخبر العمدة عن وجوده، وبعد أن ثبت تقصير العمدة عوقب بالجلد. وفوق هذا كله، فرض على القرية دفع غرامة قدرها ألفا ريال، الأمر الذي جعل القرويين يبيعون بعض محاصيل تمورهم، وبعضاً من حيواناتهم.

كان هذا الاستطراد بين الطبيب والرقيب محمود في الوقت الذي كان عمر يبحث عن أثر المجرم، وبعد أن عثروا عليه استأنفوا المطاردة مرة أخرى. استنتج عمر، ووافقه في الرأي محمود، أن الجملين بلغ منهما التعب شأواً كبيراً، وأنهم سيلحقون بالقاتل بعد ساعة على عين نجم.[2] وبعد أن قطعوا مسافة قصيرة، وجدوا

(١) لا يوجد في الأحساء واجهة بهذا الاسم، ومن الواضح أن المؤلف قصد اسم قرية أو مزرعة ما، ولكن التبس عليه الأمر.

(٢) تقع عين نجم في براح من الأرض قرب جبل أبو غنيمة، راجع: المعجم الجغرافي للبلاد

أنفسهم أمام كثيب رملي يفصلهم عن عين نجم، وبدلاً من الالتفاف حوله صعدوا بسيارتهم بصعوبة إلى القمة. ومن هناك رأوا العين، وما حولها من شجيرات، وبركة ماء، وجملين باركين، ورقبتاهما ممدودتان على الأرض. لم يروا الرجل المطلوب، فانحدروا بسيارتهم عن كثبان الرمل، وفجأة أزت رصاصة فوق رؤوسهم، ثم أخرى أصابت أحد الجنود في كتفه. خرجوا من السيارة، ونزلوا من الكثيب تدحرجاً وجرياً حتى وصل الطبيب والرقيب إلى صخرة احتميا بها من رصاص المجرم. قال الرقيب أنه في الشجرة التي على يمين العين، فما كان منه إلا أن صوب بندقيته وأطلق عدة رصاصات على الشجرة ولكنه لم يصب. أعاد الرقيب شحن بندقيته، ورمى مرة أخرى ولكنه أخطأ الهدف. وبينما هما محاصران خلف هذه الصخرة، إذا بصيحة عالية تدوي من الشجرة، ثم تبعها صوت خافت ينادي: «**تعالوا، لقد أمسكت به**». إنه صوت عمر، العجوز المجرب، الذي انسل من خلف الكثبان ثم باغت المجرم من الخلف، في الوقت الذي كان منشغلاً بمن هم خلف الصخرة، واشتبك معه بالأيدي، ولكنها كانت معركة محسومة لأن عمر رجل لا يقاوَم.

لم يعجب الرقيب محمود هذا التصرف، فسأل عمر: «**لماذا لم تخبرني كي أساعدك؟**»، فكان رد عمر بأنه كان ليعيقه، وأن رجلين سيحدثان جلبة أكثر. سأل الرقيب سؤالاً افتراضياً: «**ماذا لو أن المجرم انتبه، ورماك قبل أن تقفز عليه؟**»، فرد عمر بأنه لم يقفز عليه، بل رماه بحجر من أعلى الكثيب أدمى مقلته وأفقده وعيه حتى تمكن من السيطرة عليه. أفاق المجرم، وبقي من دون قيد، وكان سعيداً بتناول كأس من الشاي من يد الرجل الذي صرعه، وجلس مع آسريه حول النار، ولم يحاول الهروب، بل استسلم لقدره. رفع عمر الأذان لصلاة العصر، واصطف الباقون من خلفه، بما فيهم القاتل والشرطي الجريح. أمر مثير حقاً بالنسبة لهذا الألماني، فهو لم يشهد مثل هذا الموقف في أوروبا، إذ كيف برجل متهم بالقتل يطارد طوال النهار،

العربية السعودية (المنطقة الشرقية): حمد الجاسر؛ ق٣ ص١٢٣٥.

وبعد إلقاء القبض عليه، لم يصفد في الحديد، بل بقي طليقاً يأكل ويشـــرب ويصلي مع آسريه.

لـــم يخبرنا الطبيب كيـــف نقل هذا المجرم إلى الســـجن، ولكنه ذكر أنه طلب لحضور محاكمته كي يدلي بشـــهادته حول الكيفية التـــي وجدوا عليها جثة الرجل؛ وعليـــه حضر إلى المحكمة ليجد عدداً من القضايا التي تعرض على الأمير ســـعود بن جلوي. كان الأمير محاطاً بحراســـه جالساً في المنصة مع بعض أعيان الأحساء، وعندما رأى الطبيب يدخل القاعة أشـــار إليه ليجلـــس بجانبه. عاد الأمير لمتابعة القضية المعروضة وهي قضية دَين على بدوي لتاجر من تجار الأحســـاء، كان يقف إلـــى الوراء قليلاً خلف البدوي. واصل البدوي دفاعه ولكن إيماءةً من الأمير أوقفته. نادى الأمير «**قهوة**» وتكررت نفس الخطوات التي ســـمعها الطبيب عند زيارته للقصر لأول مرة، حتى جاء الصبي الأســـود يحمل الدلة وفناجيـــن القهوة التي قدمت لكل الموجودين في المنصة. اســـتؤنفت المحاكمة وحاول المتهم الدفاع عن نفســـه ولكن الأمير قال له: «**إنك قد وقعت على ورقة على أنك استلمت قرضاً بمبلغ ثلاثة آلاف ريال، وإذا لم تســـدد خلال ثلاثين يوماً ســـتذهب إلى الســـجن**». حاول المتهم الدفاع عن نفسه ولكـــن بدون جدوى، ثم أمر الأمير الكاتـــب أن يكتب بجلد هذا الرجل ثلاثين جلدة، لأنه حنث بيمينه.

التفت الأمير إلى الطبيب، وســـأله عن حاله ودارت بينهما محادثة استمرت ما يقارب ربع ساعة قبل أن يأتي دور محاكمة القاتل التي استدعي الطبيب من أجلها. كان القاتل مقيداً بالسلاسل، وقد بدأت المحاكمة بأن قدّم الرقيب محمود والطبيب شواهد القضية وكيف تم القبض عليه. اعترف القاتل بجرمه، ووضع نفسه تحت حكم الأمير الذي حكم عليه بالقتل قصاصاً بالســـيف. لم يتأخر تنفيذ الحكم، بل تم في اليوم التالي، إذ كما هي العادة أفرغت الشـــرطة مكاناً في الســـوق، وأحضر مماليك الأمير المحكوم عليه إلى مكان ليجد السياف ينتظره، كما حضر تنفيذ الحكم موظف

رسمي، ليشرف على إجراءات تنفيذ الحكم. كان المحكوم عليه مقيد اليدين إلى الخلف، ثم تقدم السياف يحيى، ووخز المكوم على جنبه مما جعله يرفع رقبته قليلاً، ثم أهوى عليه بسيفه الأحدب فاصلاً الرأس عن الجسد.

في شهر أغسطس من عام ١٩٥٢م انتهى عقد عمل الطبيب الألماني في الهفوف، وكانت حرارة الجو لا تطاق بالنسبة له، لذا بدأ يفكر في العودة إلى وطنه الأصلي، أو كما سماه «Native Land»، ولكنه لم يدر بخلده أن القدر يخبئ له مغامرة تبهت عندها كل مغامراته السابقة في الأحساء، وستأخذه إلى مناطق جديدة لم تطأها إلا قلة من أقدام الأوروبيين. كان الوقت ظهراً وحرارة الشمس محرقة، الأمر الذي جعله يفضل البقاء في مكتب الصحة على أن يجتاز السوق للوصول إلى منزله كي يتناول وجبة الغداء، وفجأة جاء مسرعاً أحد مماليك ابن جلوي، بملابسه الزرقاء المميزة، حاملاً رسالة تطلب حضور الطبيب الألماني وزميله السوري الدكتور ناجي،[1] وجرياً على العادة اصطحبا قصاص الأثر، الذي مر بنا سابقاً، واثنين من البدو.

أعطى الأمير أوامره بأن على الطبيبين أن يذهبا بصحبة عمر لمعالجة بعض المصابين في حادث وقع خارج المدينة، كما أكد على عمر وحمله مسؤولية سلامة الطبيبين، ثم استقلوا سيارة كانت تقف خارج القصر إلى البوابة الجنوبية. هناك وجدوا ضابط شرطة قد أوقف بعض السيارات وجعلها في صف واحد كي يختاروا أفضلها وأحدثها. أشار الطبيب على عمر بأن يختار سيارة فورد حمراء، بالرغم من تذمر مالكها الذي قال إن السيارة ليست جديدة ومحركها على وشك الانهيار. أوضح عمر إلى أنهم في حاجة إلى سيارة ثانية، وأخذ ينظر إلى السيارات الأربعة الأخرى، التي كان ملاكها قد بدأوا يتنفسون الصعداء، ظناً منهم أن سياراتهم قد سلمت من الاختيار. كان عمر محقاً في ذلك لأنه يعرف أن الطريق التي سيسلكها

(١) لم يذكر المؤلف الاسم الكامل لهذا الطبيب ولكنه ذكر أنه من سوريا وكان يعمل في أبها سابقاً.

مهلكة للسيارة، وعندما بدأ يبحث عن الخيار الثاني من بين السيارات أخذ الملاك في الحط من شأن سياراتهم، وأنها لا تصلح إلا للتشليح، ولكن عمر لم يتأثر بكل هذا الكلام واختار سيارة من طراز شيفروليت.

صعد عمر مع أحد البدو في كرسي قيادة سيارة الفورد، بينما ركبا الطبيبان، اللذان لم يعرفا بعد الوجهة الحقيقية لهذه الحملة، في سيارة الشيفروليت بجانب السائق. كان وجود عمر قد أثار اهتمام الطبيب الألماني، فهو يعني أن المهمة ذات طبيعة أمنية، لكنه صعق قليلاً عندما اتجهت السيارتان إلى مستودع (كراج) الجيش، للتزود بصفائح البنزين، وقِرب الماء. انطلقت الحملة وتجاوزت أطراف الواحة، وفي المساء وصلوا إلى بلدة قال إنها بقيق،[1] واستراحوا قليلاً عند العمدة. ويلاحظ هنا أن المؤلف ذكر مرورهم ببقيق التي أشار إلى وجود مصفاة للنفط بها، ومن الواضح أن الأمر التبس عليه لسببين، الأول: أن هذه البلدة ليس بها مصفاة، ثانياً: لأنها تقع باتجاه الشمال من الأحساء، ووجهة الحملة كانت جنوباً باتجاه سلوى، أي في الاتجاه المعاكس من الأحساء. ومثل هذا الالتباس وعدم الدقة في بعض ملحوظاته، قد يفسر بأن المؤلف لم يكن يدون ملحوظاته أولاً بأول، أو أنه لم يدونها إلا بعد عودته من الأحساء، ولذا فربما نسي أو اشتبه عليه الكثير من التفاصيل والأسماء.

كان الطبيبان يسألان عن موقع الحادث فرد عمر بأنه على مسيرة يومين إلى الوراء من سلوى قليلاً. استأنفت الحملة مسيرها ليلاً وبينما الطبيبان يناقشان الوجهة المحتملة التي ربما أنها البريمي، وكذلك الخلاف السعودي العماني حول تلك الواحة، إذا بالسائق يداهمه النوم الأمر الذي جعله يخطئ الطريق ويفقدوا السيارة التي كانت تمشي أمامهم. وبعد كثير من القيادة المتعرجة اهتدوا إلى الطريق، ولكنهم لم يروا أنوار السيارة الأخرى، ومع هذا واصلوا السير ونال منهم التعب مبلغه، وفجأة

(١) بقيق، وتكتب خطأً (ابقيق)، موقع بين الأحساء والظهران كان في السابق منهلاً، أما بعد اكتشاف النفط فقد كثرت به المنشآت النفطية وأصبح بلدة عامرة. راجع: المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية (المنطقة الشرقية)؛ ق١ ص٢٣٨.

وإذا برؤوسهم ترتطم بزجاج قمرة القيادة والسيارة عالقة في الرمال. لم يكن معهم مسحاة لتخليص السيارة من الرمال، لذا قرروا المبيت لتعود لهم السيارة الأخرى.

نام السائق والطبيب السوري، ومع أن الفصل كان صيفاً، وفي شهر أغسطس المشهور بشدة الحرارة، إلا أن المؤلف لم يتمكن من النوم بسبب شدة البرد،[1] إذ لم يأخذ معه فرشاً ولا بطانية ظناً منه أن الأمر لا يعدو معالجة جرحى حادث في أطراف الأحساء. أخذ يمشي ليدفئ جسمه، ثم صعدة إلى قمرة القيادة، وأشعل الأنوار الخفيفة كي يراهم زملاؤهم عندما يعودون للبحث عنهم. لم يحتمل برودة الجو في القمرة، فنزل يمشي ولكن إحدى نعليه سقطت تحت السيارة فزحف لإخراجها لكنه سمع صوت إطلاق نار، فنهض مسرعاً فارتطم رأسه بالسيارة وجرح للمرة الثانية في تلك الليلة. نهض السائق من نومه، معلناً أنها السيارة الأخرى، وأخذ يضيء الأنوار الأمامية للسيارة ليلفت نظر زملائهم الذين لاحظوا ذلك فجاؤوا لمساعدتهم، ولحسن الحظ كان معهم سلك غليظ للسحب، فأخرجوا السيارة من الرمال.

كان عمر مستيقظاً كالعادة، وجاء ليركب بجانب المؤلف بقية الطريق، وبمجرد أن استؤنف المسير غلب النوم على الطبيب ولم يستيقظ إلا عند الظهر. كان يعاني من صداع شديد بسبب جروح رأسه، وكذلك الظمأ الشديد وحرارة الشمس. شرب بشراهة من القربة نصف المليئة، فحذره عمر من أنه لم يعد معهم كثير من الماء، وليدلل على ذلك أشار إلى جثث خمسة جمال تركها راكبوها بأشدتها وهربوا بجلودهم على أمل أن يجدوا مورد ماء قريب. أشار عمر كذلك إلى أن الآبار القريبة من الطريق جفت مبكراً هذا العام، ولهذا فإن الصحراء مليئة بالجثث، وقد مروا في فترة ما بعد الظهر ببقايا قافلة اضطر أصحابها لذبح جمالهم من أجل شرب دمائها،[2] ولكنهم لم يفلحوا إذ وجدوا جثثهم على الطريق بعد ساعة من المسير.

---

(١) من المعروف أن درجة الحرارة في الصحراء تنخفض ليلاً، وخاصة بعد منتصف الليل إلى درجة أن الإنسان يحتاج إلى لحاف كي يتمكن من النوم.

(٢) ملحوظة المؤلف غير صحيحة، والصحيح: لشرب الماء المخزون في كروشها.

استمروا في سيرهم على أرض حصوية، وعند الغروب وصلوا إلى أرض رملية مرةً أخرى. وفجأة رأوا روث أغنام في الرمال واستنتجوا أنه لا بد أن يكون هنالك مورد ماء قريب، لأن الغنم لا يمكنها أن تبتعد عن الماء أكثر من مسيرة يوم.

وصلت الحملة إلى سلوى بعد المغرب بقليل، ووصفها بأنها بلدة حدودية تتكون من مجموعة من الخيام الممزقة، وبعض من أكواخ القصب وشجيرات النخيل وبئر اضطروا للشرب من مائها مع أنها كانت مالحة قليلاً. استراحوا في منزل العمدة لعدة ساعات، وهناك علموا أن القوة المتقدمة التي يريدون اللحاق بها قد غادرت قبل يومين إلى البريمي. لاحظ عمر وجود سيارة جيب حكومية ذات دفع رباعي، لذا طلبها، وبعد أخذ وردّ وافق ابن العمدة على مصاحبة القافلة، وقيادة السيارة بنفسه. واصلت الحملة مسيرتها ليلاً، وقام الرجال الراكبون في السيارة الأمامية باستخراج أسلحتهم وبدأوا بمراقبة الطريق من الجانبين. ومع أن الوقت كان ليلاً، إلا أن المؤلف لاحظ مرورهم بخيام بعض البدو البادي عليهم الفقر المدقع، وعند الفجر تغيرت طبيعة الأرض إذ وصلوا إلى رمال حمراء، إنها رمال الربع الخالي.

اختفت الدروب، فلم يعد هناك طريق سالك، وأصبح سائق كل سيارة يشق طريقه وسط الكثبان الرملية، لكنهم بقوا متقاربين. كان ابن العمدة دائماً في المؤخرة، مع أن سيارته جيدة ويفترض أن تكون في المقدمة، وفسّر المؤلف ذلك بخوفه من تعرض القافلة لهجوم، وقد تنبه عمر لهذا الأمر فركب بجانب الشاب وأصر على أن يكون في المقدمة. عند الظهيرة تعرضوا لعاصفة رملية عاتية حجبت رؤية الشمس، وخيم الظلام كالليل، مع حرارة شديدة. وبالرغم من ذلك استمروا في المسير، والأنوار الأمامية لسياراتهم مضاءة، ولكنها توقفت فجأة وسط الكثبان الرملية. بعد ما يقارب الساعة، وسط هذه الموجات الهوائية العاتية، توقفت العاصفة، وبدأ النور يظهر من جديد.

استغرق إصلاح السيارة وإخراجها من الرمال ما يقارب الساعتين. ثم انطلقوا في مسيرهم بحثاً عن رفاقهم الذين لم يجدوا لهم أي أثر. كان الطريق شاقاً وسط كثبان رملية عالية إذ كادوا أن يهلكوا في أحدها لولا عناية الله ثم نباهة السائق الذي حرف السيارة بسرعة متفادياً السقوط في وسط منحدر رملي، ولكن هذه الحركة جعلت رأس الطبيب يرتطم بقمرة القيادة. وفي تلك الأثناء رأوا بدوياً على رأس تلة يلوح لهم فتقدموا صوبه بحذر. وعندما وصلوا إليه رحّب بهم وهنأهم على سلامة الوصول، وذكر لهم أنه مع عدد من الرجال كانوا ينتظروهم على قمم التلال المجاورة لإرشادهم إلى الطريق. كان إلى الأسفل منهم منخفض طويل تقف به ثماني سيارات، ونصب بها اثنتا عشرة خيمة، ويوجد بها مورد ماء محفور. يسمى هذا المكان (عين ظاهر)، وهو أحد الأماكن السرية التي يوجد بها ماء، ومن أعراف الصحراء أن المستخدم للبئر يجب عليه أن يدفنها بالرمل، قبل أن يغادر المكان. كان وصولهم وقت صلاة العصر، فكان هنالك أربعون بدوياً يؤدون الصلاة تجاه مكة.

استقبلهم الأمير تركي،[1] قائد الحملة، بحرارة وقبل تناول القهوة سأل الطبيبان عن الجرحى فوجدا شخصين يعانيان من جروح طلقات نارية، وأوصيا بالتجهيز لنقلهما. قدم لهم الأمير تركي ثلاثة من مواطني البريمي، وقد وصفهم بأنهم رجال مهمون، وهم: محمود الرومي، وخالد الرويس، ومطلق عبدالرزاق،(٢) ويلاحظ هنا أن المؤلف تجاهل الاسم الكامل للأمير تركي، ونادراً ما يذكر الاسم كاملاً لمن يقابلهم من الشخصيات، إلا أنه ذكر الاسم كامل لهؤلاء الثلاثة، بل وصفهم بالشخصيات المهمة. كان كل منهم يرتدي عباءة (مشلحاً) مطرزاً بالذهب، وساعة ذهبية، وغترة، وأحذية جديدة، ولم يكن لدى المؤلف أدنى شك في أن هذه الكسوة كانت هدية من الملك عبدالعزيز. كان هؤلاء الرجال في نقاش مع الأمير تركي فطلبوا رأي المؤلف

(١) هو الأمير تركي بن عطيشان، وقد عين أميراً على البريمي سنة (١٣٧١هـ /١٩٥٢م). راجع: شبه الجزيرة العربية في عهد الملك عبدالعزيز: خير الدين الزركلي؛ ج٤ ص١٣٩٣-١٣٩٩.

(٢) لم أعثر على ترجمة لهؤلاء الرجال الثلاثة، ولكن من الواضح أنهم من شيوخ قبائل البريمي.

ينحدرون مسرعين، ويطلقون الرصاص تجاه السيارات. رد أحد المدافعين وأطلق رصاصتين تجاه المهاجمين فأمره المؤلف بالتوقف حتى يقتربوا أكثر، وعندما أصبحوا على بعد (١٥٠ ياردة)، سمع المؤلف نداء استغاثة «**لقد جرح سعد**»، فأسرع لمساعدته ومحاولة إيقاف الدم الذي بنزف من جمجمته. لم ينس هذا الطبيب الألماني ما تعلمه أثناء تدريبه في الجيش، إذ كان يحمل بندقيته ويلف الجرح وعيناه على المهاجمين الذين تفرقوا إلى مجموعات صغيرة، وعندما أصبحوا على بعد (٥٠ ياردة) أمر بإطلاق النار على المهاجمين. استجداه سعد كي يعطيه بندقيته ليرمي المهاجمين، لأن الطبيب كان منشغلاً بلف جرحه، فأعطاه إياها وأخذ يمسح الدم من عينيه ويرمي ويدافع. كانت أجساد المهاجمين تتساقط على الرمال، وانطلق من بينهم رجل طويل أسمر يرمي من بندقيته، ويحمل خنجراً ومشعاباً، فصاح الطبيب بسعد لكي يرمي، ولكن سعد أغمي عليه وسقط على بندقيته. حاول الطبيب استخراج البندقية من تحته ولكنه لم يتمكن، وفي الوقت نفسه وصل الرجل المهاجم رافعاً بندقيته تجاه الطبيب، ثم هجم بهرواته (مشعاب)، وخرج الطبيب من تحت السيارة، ليحصل بينهما مصارعة بالمشعاب ثم بالخنجر، تمكن الطبيب في نهايتها من الاستحواذ على الخنجر وطعن مهاجمه ثلاث أو أربع طعنات جعلته يخر صريعاً على الرمال.

ومما يلاحظ هنا أن هذا الطبيب الألمانيَ فصّل في دوره، وأضفى على نفسه دوراً درامياً، في حين أهمل دور الآخرين الذين بقوا معه لحراسة المخيم أو خرجوا لمقاتلة المهاجمين. ويضيف إلى بطولته الشخصية أنه، وبعد أن خلص نفسه من تحت جثة ذلك الرجل، قام باتباع أساليب أهل الصحراء، فسلب من القتيل حزامه وخنجره ومشعابه وبندقيته. بعد تلك المعركة عم المخيم سكون وتوقف إطلاق الرصاص، ثم ظهر صف من الرجال ينزلون من التلال الرملية تتعالى صيحاتهم وضحكاتهم. إنهم رجال الأمير تركي قد عادوا من معركتهم يحملون جرحاهم وغنائمهم. وأخيراً، وبينما كان البدو يدفنون الموتى، كان الطبيبان يعتنيان بالجرحى. أظلم الليل، وتحلق البدو

حول النار يغنون، وأطل نور البدر من المشرق، لقد كان، في رأيه، منظراً يحتاج إلى فنان ليرسم تلك الصورة البديعة. وبينما كان المؤلف يتأمل المشهد الجميل، وإذا بيد تربت على كتفه، إنه عمر، قائلاً: «**هل حان وقت الرحيل إلى بلدنا يا دكتور؟**» فرد عليه: «**نعم دعنا نعود إلى بلدنا**». توقف قلم المؤلف عند هذه النقطة، فلم يدون أي ملحوظة حول الوضع والتطورات بعد تلك المعركة، ولم يذكر شيئاً حول الأمير ورجاله، بل لم يدون أي معلومة حول طريق العودة. وأشار في آخر الكتاب أنه لم يبق طويلاً بعد تلك الرحلة إلى البريمي، إذ عاد إلى بيروت كما أوضحنا آنفاً في ترجمة المؤلف.

نقد الملحوظات

جاء هيربرت بريتزكه إلى المنطقة العربية في أثناء الحرب العالمية الثانية بصفته طبيباً مجنداً في الجيش الألماني، وفي أثناء الحرب أسرته القوات البريطانية في شمال أفريقيا وأودعته معسكراً للأسرى في مصر. ولذا فإن معرفته بهذه المنطقة لم تكن من قبيل الرحلات العلمية المخطط لها، بل أتت نتيجةً لسلسلة من الأحداث التي زجت به إلى الأسر، ثم نجح في الفكاك من الأسر ليعيش مدة من الزمن مع البدو في مصر، ثم ذهب إلى القاهرة ومنها إلى فلسطين مجنداً للقتال هناك، وبعد الهزيمة انتقل إلى لبنان. دون هذا الطبيب كثيراً من الملحوظات المهمة عن مشاهداته وتجربته في هذه البلدان، ولكن ما يهمنا في هذا البحث هو ملحوظاته عن الأحساء التي عمل بها طبياً ما يقارب الثلاث سنوات.

تنوعت هذه الملحوظات عن مجتمع الأحساء، ولكن يمكن تقسيمها إلى قسمين: القسم الأول في الجانب الاجتماعي ويتركز في أساسه حول بعض انطباعاته ومشاهداته في أثناء وجوده في الأحساء، إذ نجح هذا الطبيب في تكوين علاقات جيدة مع الأمير سعود بن عبدالله بن جلوي، وألمح إلى جوانب من حياة هذا الأمير خلال مقابلاته الكثيرة معه. كما تحدث عن بعض المظاهر الاجتماعية التي شاهدها

في سـوق الأحساء. وبالرغم من أن الأحساء تتكون من عدد من الفئات الاجتماعية، إلا أن المؤلف تجاهل هذا كله وتحدث عن الرقيق، أما القسـم الثاني فيتعلق ببعض الملحوظـات الأمنية مثل تعقب المجرمين أو تنفيذ الحدود في سـوق الأحسـاء. بالإضافة إلى ذلك فقد كان يستعان به للمساعدة في التحقيق، أو لعلاج بعض جرحى الحوادث خارج الأحساء، كما حصل في مهمته الأخيرة في البريمي.

ومـع أهمية ملحوظات هذا الطبيب، إلا أنه يؤخـذ عليه عدم الدقة في بعض الملحوظات التي لم يحسن قراءة وفهم جوانبها الاجتماعية. وبالإضافة إلى ذلك فإنه كان قد أقام عيادة خاصة في منزله، وعمل بمستشـفى عام يؤمه الناس من مختلف المشارب، إلا أن ملحوظاته في الجانب الصحي لهذه المدينة كانت ضئيلة جداً.